الملخص

بيّن كثير من علماء التفسير أنّ فهم المعنى القرآني لا يتحقّق إلا بعد مَعرفة سياق الكلام، وفيه يزول الإشكال ويتعيّن المُحتمَل ويُخصّص العام ويُفسّر المُبهَم، وهو أمرٌ لا يُدرِكه إلاّ ذوي القدرات المُتميّزة والبَصائر النافذة والأذواق السليمة، وقد عُني هؤلاء العلماء منذ عهد مُبكّر بالإشارة إلى المعاني السياقية المختلفة للفظ الواحد، وتشهد لذلك كتب الوجوه والنظائر المتعدّدة، وعُني بها أيضاً الأصوليون واستندوا إليها في تحديد الأحكام الشرعية، ولذا فقد زَخِرَت كتبهم بدراساتٍ سياقيّة متميّزة.

Abstract

Among many scientists that the interpretation of the Quranic understanding of the meaning can be achieved only after knowing the context of the speech, Fbh dispels any confusion and to be stoic and allocates the public and explain the vagus, which is not understood by only those with outstanding abilities and insights window and tastes good.

المقدمة

حرص المفسرون على بيان" الفروق الدقيقة بين الألفاظ المستعملة، فعقدوا فصولا لأشياء تختلف أسماؤها باختلاف أحوالها"[١]، ولعل الذي دفعهم إلى ذلك بيان أسرار التعبير القرآني في اختيار اللفظة ومناسبتها السياق الواردة فيه؛ كونها اللبنة الأساسية في الرسالة الكلامية، وذلك لأن الخطاب الأدبي في صياغته اللسانية يقوم على محورين هما الاختيار والتوزيع، فالأول المحور الأفقي السياقي، والآخر المحور الرأسي الاستبدالي، فمحور الاختيار هو ما أسماه الأسلوبيون بالمستوى الاستبدالي، ويقصد به مجموعة الألفاظ التي يمكن للمتكلم أن يأتي منها بأنماط في لفظة من ألفاظ سلسلة الكلام ومجموعة تلك الألفاظ القائمة على رصيد المتكلم المعجمي، والتي لها طواعية الاستبدال فيما بينها، وتقوم بينها علاقات من قبيل الاستعاضة تدعى العلاقات الاستبدالية (Rappots Paradigmatics) ومن هنا أطلق عليها محور الاختيار الأسلوبي[٢].

ويمكن القول إن كل مجموعة من الألفاظ تقوم بينها علاقات استبدالية، إذ تتنزل على محور واحد من محاور الاختيار، وإذا اختير أحدهما انعزلت البقية وعليه عدت تلك العلاقات روابط يتجدد الحاضر منها بالغائب ويتجدد الغائب انطلاقا من الحاضر[٣].

دور المنشيء يقوم على اختيار لفظة من مجموعة الفاظ مراعياً للدلالة الهامشية التي تمتاز بها تلك اللفظة المختارة عن باقي الألفاظ التي تشترك معها في الدلالة المركزية رصف وتوزيع ما اختاره من مفردات لغوية، وتركيبها وفق ما تقتضي بعضه قوانين النحو، وما تسمح

ببعضه الآخر مجالات التصرف في التراكيب، وتسمى هذه العملية العلاقات الركنية أو محور الاستبدال، وعرف جاكوبسن الأسلوب بأنه إسقاط محور الاختيار على محور التوزيع[٤]، وعُرف الأسلوب كذلك "بأنه اختيار(Choice) أو انتقاء(selection) يقوم به المنشيء لسمات لغوية معينة بغرض التعبير عن موقف معين، ويدل هذا الاختيار أو الانتقاء على إيثار المنشيء وتفضيله لهذه السمات على سمات أخرى بديلة"[٥].

المطلب الأول: الدلالة الأسلوبية في اختيار الألفاظ

إنّ ألفاظ القرآن الكريم غنيّة بالدلالات المؤثرة، فلا تجد لفظة اختارها القرآن الكريم في سياقها وتستطيع أن تبدلها بلفظة أخرى، وإنْ كانت بليغة لأنها ليس لها تلك الدلالة وذلك التأثير في النفوس، ولكلّ لفظة في الأسلوب القرآني دلالتها المعينة، فيختار ألفاظه بدقةٍ عجيبة لتؤدي معناها المراد وكأنها وضعت لأجله ينتقي ألفاظه، ويختار كلماته لما بين الألفاظ من فروق دقيقة في دلالتها، فيستعمل كلّ كلمة بدقة بحيث تؤدي معناها المراد في إحكام شديد يكاد السامع يؤمن بأن هذا المكان ناسب تلك الكلمات بعينها وأنّه لا يمكن كلمة أخرى أن تؤدي المعنى الذي أفادته أختها [٦]، واتصفت تلك الألفاظ بـ"اتساع دلالتها لما لا تتسع له عادة دلالات الكلمات الأخرى"[٧]، ويشترك النحوي والبلاغي في النظر إلى دلالات الألفاظ على المعاني وكلّ حسب طريقته "فالنحوي ينظر في دلالة الألفاظ على المعاني من جهة الوضع اللغوي وتلك دلالة عامّة، وصاحب علم البيان ينظر في فضلية تلك الدلالة وهي دلالة خاصة"[٨].

والألفاظ في الخطاب الأدبي تنطوي على جملة من المعاني الإيحائية، إذ إن للألفاظ والصور المتشكلة عنها دلالات بعيدة يكتنفها النص، تتكثف من خلال السياق بعمقه التاريخي والثقافي من الذكريات والمشاعر التي صاحبتها على مدى الزمن الطويل لاستعمالها، وما تراكم حولها من ذكريات على امتداد ذلك الزمن، ثم لها ظلالها وهي في نسق كامل[٩].

وإيثار المفردات في السياق الذي انتظمها يعد ركيزة أساسية من ركائز علم الأسلوب، وهو أحد المفاتيح التي تمكّن الدارس والباحث من الكشف عن المعاني الثانية، أو فهم ما فيه من إشارات خفية ومعاني دقيقة[١٠].

وأدرك المفسرون والبلاغيون العرب تلك الحقيقة فكانت بحوثهم دقيقة في ذلك المجال، ولعل من أوضحها ما نجده في بحثهم مسألة الترادف في القرآن الكريم وتضييق دائرته واستبعادها من البيان القرآني[١١]، ولذلك قال ابن تيمية:" وأما في ألفاظ القرآن فإما نادر وإما معدوم وقل أن يعبر عن لفظ واحد بلفظ واحد يؤدي جميع معناه، بل يكون فيه تقريب لمعناه وهذا من أسباب إعجاز

القرآن"[١٢]، فإن الله –سبحانه وتعالى– لا يضع كلمةً في مكان يجوز أن يوضَع غيرُها فيه، فالكلمة لها نسقها وسط أخواتها، وذلك من إعجاز القرآن اللغوي.

فالنظم القرآني دقيق في اختيار اللفظة المناسبة للسياق مراعيا الفروق الدقيقة بين الألفاظ، وكذلك يراعي ما توحيه تلك اللفظة من دلالات هامشية وما تبعثه في نفس المتلقي من المعاني الإيحائية، وقد نبه إليها ابن الأثير بقوله:"ومن عجيب ذلك أنك نرى لفظتين تدلان على معنى واحد وكلاهما حسن في الاستعمال، وهما على وزن واحد وعدة واحدة إلاَّ أنّه لا يحسن استعمال هذه في كل موضع تستعمل فيه هذه، ليفرق بينهما في موضع السبك وهذا لا يدركه إلا من دق فهمه وجل نظره"[١٣]، ولذلك فإنّ البحث في أسرار اختيار المفردة القرآنية يبنى على استبعاد ونفي ظاهرة الترادف من النظم القرآني" كل لفظة من ألفاظ القرآن وضعت لتؤدي نصيبها من المعنى أقوى أداء، ولذلك لا نجد فيه ترادفا، بل كل كلمة تحمل إليك معنى جديد"[١٤]، وذلك يظهر للباحث في أسلوب القرآن ونظمه أن كل لفظ فيه يناسب السياق والمقام وجو السورة، إذ إنه لا يمكن لغيره أن يحل محله وذلك أحد أوجه إعجازه، فالمفردة القرآنية تمتلك طاقات إيحائية، وخصائص تعبيرية بحيث لو أبدل غيرها لتغيرت الدلالة واختفى الإيحاء، ولذلك "إذا كان الترادف موجودا في اللغة فهو بعيد كل البعد عن تهذيب القرآن اللغوي، وتمكن مفرداته من معانيها وظلالها الخاصة"[١٥]، ويمكن بيان أسلوبية المفردة القرآنية من خلال النظر في المحورين الأول العمودي الاستبدالي والآخر الأفقي السياقي في نظام اللغة، فالأول يمثل إيثار المفردة القرآنية في سياق تأليف الألفاظ في التعبير القرآني، والثاني الدلالة الإيحائية للمفردة في النص القرآني المعجز.

إنّ للألفاظ استعمال خاص في التعبير القرآني، فقد ترد لفظة بدلالة معينة، وترد أخرى في الموقف نفسه بل في القصة نفسها، ولكن بدلالة أخرى، وكلّ ذلك محكوم بالسياق، فالسياق من أهم القرائن الدالّة على المعنى، لذلك تميّز أسلوب القرآن عمّا سواه من الكلام، فكان معجزاً يتناسق ألفاظه ونظمه، فمثلاً جاءت لفظة (فانفجرت) في قوله تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ البقرة: ٦٠، لتدلّ على معنى التكثير تشريفاً وتكريماً لنبي الله موسى؛ لأنه هو الذي طلب الاستسقاء فجاء الماءُ بطريقة الانفجار ليناسب التكثير"فقيل إجابة لطلبه: فانفجَرت مناسبة لذلك"[١٦].

أمّا في سورة الأعراف فقال تعالى: ﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ

﴿ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ الأعراف: ١٦٠، فقد استوجب السياق لفظة(انبجَست) الدالّة على التقليل؛ لأن من طلب السقيا هم قوم موسى(عليه السلام)،"فقيل جواباً لطلبهم: فانبجَست، فناسب الابتداءُ الابتداءَ والغايةُ الغايةَ"[١٧]، لذلك جاءت الإجابة بطريقة الوحي فقال تعالى:﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ ﴾ وليس بطريق مباشر كما في آية البقرة حيث كان الأمرُ مباشراً؛ ولأن الانفجار أشدّ من الانبجاس، فناسب مقام التشريف والتكريم مجيء الماء متفجراً لأنها أكمل وأبلغ من الحالة الأخرى[١٨] .

ومن ذلك نجد في قوله تعالى:﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ آل عمران: ٨٤، أن الآية الكريمة جاءت بأمر الرسول محمد صلى الله عليه وسلم أن يخبر عن نفسه ومن معه من المؤمنين بالإيمان بما أنزل من القرآن الكريم وما أنزل على الأنبياء قبله من الكتب السماوية، ودلالة الاختيار الأسلوبي للفظة(أوتي) بدل لفظة(أنزل) وهذا ما نبه إليه أبو السعود في ذلك بقوله:" ﴿ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ﴾ من التوراة والإنجيل وسائرِ المعجزاتِ الظاهرةِ بأيديهما كما ينبئ عنه إيثارُ الإيتاءِ على الإنزال الخاصِّ بالكتاب وتخصيصُهما بالذكر لما أن الكلام مع اليهود والنصارى"[١٩] .

وفي قوله تعالى:﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴾ النساء: ٤، يمكننا هاهنا أن نذكر وقفات الزمخشري التي بسط فيها الظلال النفسية، ولتجاوز ما يستمدّ من المعرفة بالفروق كالفرق بين الكبير والعظيم، وبين الأذى والضرر، ففي النص القرآني يقول تعالى:﴿ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ ﴾"ولم يقل: فإن وهبن أو سمحن إعلاما بأنّ المراعى هو تجافي نفسها عن الموهوب طيبة، وقيل: ﴿ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ ﴾ ولم يقل (فإن سمحن لكم عنه) بعثا لهنّ على تقليل الموهوب"[٢٠]، فاللفظة (طبن) تدل على راحة صدرها وهي تتخلّى عن بعض صداقها، والحق أن للزمخشري دورا في إبراز بلاغة القرآن حتى في الآيات الفقهية التي تبيّن الأحكام الإسلامية، وتبعه في هذا المسلك أبو السّعود وسيّد قطب خاصة.

ومنه الفرق بين الخوف والخشية في قوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴾ الرعد: ٢١، "وفُرِّق بينهما أيضا بأَنَّ الخشية تكون من عظَمِ المخشيِّ وإِنْ كان الخاشي قوِيّا والخوف يكون من ضعف الخائف وإِنْ كان المخوِّفُ أمرًا يسِيرًا ولذلك فإن الخاء والشين والياء في تقاليبها تدل على العظمة نحو شيخ للسيد الكبير وخيش لما غلظ من

اللباس ولذا وردت الخشية غالبا في حق الله تعالى نحو ﴿ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ البقرة: ٧٤ ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ فاطر: ٢٨ وأما ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ النحل: ٥٠، ففيه نكتة لطيفة فإنه في وصف الملائكة ولما ذكر قوتهم وشدة خلقهم عبر عنهم بالخوف لبيان أنهم وإن كانوا غلاظا شدادا فهم بين يديه تعالى ضعفاء ثم أردف بالفوقية الدالة على العظمة فجمع بين الأمرين ولما كان ضعف البشر معلوما لم يحتج إلى التنبيه عليه"[٢١]، فالخشية أعلى من الخوف، وهي أشد الخوف، ولذلك خصت الخشية بالله –سبحانه وتعالى– وكذلك الخشية تكون من عظم المخشي، أما الخوف يكون من ضعف الخائف، لذلك قال الله –سبحانه وتعالى: ﴿ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴾ فإن الخوف من الله –سبحانه وتعالى– بعظمته يخشاه كل أحد كيف كانت حاله، أما سوء الحساب فقد لا يخاف منه مَن حاسَب نفسه ومَن عمل لمآله، وذلك من اللطائف أن الله تعالى لَمَّا عبر بالخوف عن الرب سبحانه وتعالى قال :﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ النحل: ٥٠، فكان الكلام عن الملائكة وليس عن البشر، فإن الملائكة لما علم قوتهم وعلم عظم حالهم، بين الله –سبحانه وتعالى– أنهم بالنسبة لجلال ربهم ضعفاء، فاستعمل الخوف: يخافون ربهم من خوفهم ويفعلون ما يؤمرون.

وفي قوله تعالى:﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ آل عمران: ٢٦، تتجلى دلالة الاختيار الأسلوبي كما رصدها أبو السعود بقوله:" إيثارُ الإيتاءِ الذي هو مجردُ الإعطاء على التمليك المؤْذِن بثبوت المالكيةِ حقيقةً ﴿ مَن تَشَآءُ ﴾ أي إيتاءه إياه ﴿ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ ﴾ أي نزْعَه منه فالملكُ الأولُ حقيقي عام ومملوكيتُه حقيقية والآخرانِ مجازيان خاصان ونِسبتُهما إلى صاحبهما مجازية"[٢٢]، وفي قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ آل عمران: ١٤٣، فالخطاب للذين لم يشهدوا أول معركة ضد المشركين(معركة بدر) وكانوا يتمنون أن يشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا لينالوا ما ناله شهداء بدر من الكرامة فأصروا على الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ظهر منهم خلاف ذلك﴿ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ ﴾ وهو متعلق بـ﴿ تَمَنَّوْنَ ﴾ كاشفا سبب إقدامهم على التمني، قال أبو السعود:" من قبل أن تشاهدوه وتعرفوا هوله وشدته... وفي إيثار الرؤيةِ على الملاقاة وتقييدِها بالنظر مزيدُ مبالغةٍ في مشاهدتهم له والفاءُ فصيحةٌ كأنه قيل إن كُنتُمْ صادقين في تمنيكم ذلك فقد رأيتُموه معاينين له حين قُتل بين أيديكم مَنْ قُتل"[٢٣]، فكشف النص القرآني بأسلوبية اختياره ألفاظه الدلالة الإيحائية(التوبيخ) لأنهم لم يثبتوا في ميادينها كما تمنوا وزعموا بل جبنوا وفروا منها.

ونجد في قوله تعالى:﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ النساء: ١١٠ – ١١٢، إيثار النص القرآني لفظة (الاحتمال) على لفظة(الاكتساب) دلالة أسلوبية إيحائية تشير إلى ثقل الوزر واحتمال عقوبته من قبل الجاني" فإن رمى البريء بجناية ما خطيئةً كانت أو إثماً بهتانٌ وإثمٌ في نفسه أما كونُه بهتاناً فظاهرٌ وأما كونُه إثماً فلأن كونَ الذنبِ بالنسبة إلى مَن فعله خطيئةً لا يلزم منه كونُه بالنسبة إلى مَن نسبه الى البريء منه أيضاً كذلك بل لا يجوزُ ذلك قطعاً كيف لا وهو كذِبٌ محرَّمٌ في جميع الأديانِ... لاشتماله على قصد تحميلِ جنايته على البريء وإجراءِ عقوبتِها عليه كما ينبئ عنه إيثارُ الاحتمالِ على الاكتساب ونحوِه لما فيه من الإيذان بانعكاس تقديرِه على ما فيه من الإشعار بثقَل الوِزر وصعوبة الأمر"[٢٤]، وفي اختيار الخطاب القرآني اللفظة المناسبة دلالة أسلوبية؛ "لإمكان أَن يُراد بالخطيئَة ما وقَع خَطأً وبالإثمِ ما وقَع عمدًا قُلتُ ويدُلُّ له قَولُه تعالى قَبل ذلك: ﴿ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ ﴾"[٢٥]؛ لأن من أخطأ خطأ يجب فيه العزم أو يعمد إلى إثم فيه عار ثم يرمي غيره بذلك ليغرمه أو يلحق به عاره، فقد احتمل أحد السيئين الكذب أو الباطل[٢٦].

وفي قوله تعالى:﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ النساء: ١٠٠، ترغيب للهجرة في سبيل الله وإيثار الخروج على المهاجرة لمقصد شرعي فيه دلالة أسلوبية في اختيار لفظة الخروج وما توحيه من ضمان استحقاق أجر الخارج في سبيل الله، وإشعار لما يحصل عليه المهاجر من الخير والنعمة رغم أنف قومه الذين هاجرهم، ويؤكد أبو السعود أن اختيار المفردة القرآنية وإيثارها على سواها دلالة إيحائية استدعاها الموقف الذي يمر به المسلم والذي يوجب خروجه من بيته وتركه قومه[٢٧].

وفي إيثار لفظة(رجالا) بدل(دكورا)، وإيثار (نساء) بدل(إناثا) في قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ النساء: ١، دلالة أسلوبية فضلا عما توحيه من الكثرة والمبالغة، فقصد بـ" ﴿ وَبَثَّ مِنْهُمَا ﴾ أي نشرَ من تلك النفس وزوجها المخلوقةِ منها بطريقِ التوالدِ والتناسلِ﴿ رِجَالًا كَثِيرًا ﴾ نعت لرجالا مؤكدةٌ لما أفاده التنكيرُ من الكثرةِ والإفرادِ باعتبار معنى الجمع أو العددِ وقيلَ

هو نعتٌ لمصدرٍ مؤكدٍ للفعل أي: بثاً كثيراً ﴿وَنِسَآءً﴾ أي كثيرة وتركُ التصريحِ بها للاكتفاء بالوصف المذكورِ وإيثارُهما على ذكوراً وإناثاً لتأكيد الكثرةِ والمبالغةِ فيها"[٢٨].

وللإيحاء المعتمد على الغرابة اللفظية دلالة أسلوبية في قوله تعالى:﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴾ النجم: ٢٢، فهنا وصف لحكم المشركين بأن لله تعالى البنات ولهم البنون، وهذا الحكم على ما فيه من انتفاءٍ للعدل والغرابة فإنه يحوي غرابة أكبر من خلال معرفتنا أن العرب أو قسماً منهم ما كانوا يرضون لأنفسهم ما رضوه لربهم وهو (البنات) قال تعالى﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ النحل: ٥٨ – ٥٩؛ لذلك قال تعالى : ﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴾ النجم: ٢١ – ٢٢، فالحكم ليس جائراً وحسب وإنما هو غريب في العقل والمنطق – أن ينسب العبد مالا يرضى لنفسه إلى ربه – لذلك استعملت (ضيزى) والتي تعني القسمة الجائرة أو غير العادلة، ولم تستعمل هاتان الكلمتان، لهذه الزيادة في إيحاء (ضيزى)، كانت غرابة اللفظ أشد الأشياء ملاءمة لغرابة هذه القسمة التي أنكرها، والعرب يعرفون هذا الضرب في الكلام وله نظائر في لغتهم وكم من لفظةٍ غريبةٍ عندهم لا تحسن إلا في موضعها ولا يكون حسنها على غرابتها إلاَّ أنّها تؤكد المعنى الذي سيقت إليه بلفظها، فلم يخرج المفسرون القدماء والمحدثون عن المعنى الذي ذكره أصحاب كتب غريب القرآن، في دلالة اللفظة مع غرابتها على أنها القسمة الناقصة أو الجائرة الظالمة، غير العادلة، فيذكر الزمخشري، وتابعه الرازي، أنّ ما نسبه المشركون من أصنام بأنهم بنات الله تعالى، وكانوا يعبدونها لتكون لهم شفعاء عند الله بحسب اعتقادهم، فجعلوها بنات الله تعالى مع كراهيتهم إيّاها، واتخاذها أندادا له مع عظمة مقام، وحقارة شأنهم فإنه غاية المبالغة في الجور في الأمرين، أي في نسبتهم البنات له، فادَّعوا لأنفسهم كمالا لم ينسبوه إلى خالقهم، وهذا أمر وشأن عجيب من هؤلاء الجاحدين الكافرين، والأنكر هو جعلها آلهة يعبدونها من دون الله؛ لذلك أنكر عليهم تلك القسمة الجائرة مع تركهم ما جاءهم من الهداية، والمنهج الحق وفيه دليل بطلان دينهم وعقيدتهم[٢٩].

وذكر ابن الأثير(٦٣٧هـ) عن غرابة هذه اللفظة (ضيزى)، بأنها في موضعها لا يسدّ غيرها مسدّها؛ فضلا عن ورود آيات السورة في فاصلتها على حرف الياء إلى آخر السورة، فأرْجَع الحسن إلى شيءٍ لفظي من دون الإشارة إلى الجانب المعنوي[٣٠]، وأنّ اختيارها من دون الكلمات التي تؤدّي معناها، قد أفاد في هذا الموضع بحسب المحدثين دلالتين: معنوية، ولفظيّة، أما المعنويّة فهي الإشعار بقباحة تعامل هؤلاء المشركين، مع خالقهم بذلك المنطق والقسمة الجائرة، عن طريق استعمال لفظة يدلُّ بحروفها على قباحة مسمّاه، وأمّا اللفظية فهي مراعاة فواصل

الآيات، في الآيات السابقة واللاحقة، ثم يناقش ابن الأثير أحد منكري ورود هذه اللفظة على غرابتها في القرآن، ويفترض وجود ألفاظ أحسن منها، فيرى أنه لو جيء بلفظة في معناها، كجائرة أو ظالمة، ولا شك أن جائرة أو ظالمة أحسن من ضيزى من حيث غرابتها، إلاَّ أنّها إذا انتظمت بالقول: (ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذا قسمة ظالمة)، لم يكن نظمها حسنا وصار الكلام، كالشيء المعوز الذي يحتاج إلى تمام، ولم تكن كالنظم القرآني الذي وردت فيه بأعجب ما يكون، وذلك لا يخفى على من له ذوق ومعرفة بنظم الكلام[٣١]، ولو وضع موضعها(جائرة) وهي قسيمتها في الدلالة لجارت على الموضع وفاتت المناسبة وحسن الجوار. فجيء بها – أي ضيزى – لذلك الالتئام والتناسق الصوتي الذي لا يخفى أثره الإيحائي.

وأضاف المحدثون أن اللفظة في نظمها وارتباطها بسياق ما قبلها في قوله تعالى: ﴿قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾ ، قد أفادت في غرابتها، دلالة التهكم والسخرية والتسفيه لعقولهم، التي تحققت من خلال ارتباطها بدلالة الاستفهام الإنكاري؛ ليناسب غرابة تلك القسمة الغريبة في شأنها[٣٢]، فكانت هذه الكلمة الغريبة(ضيزى)، أليق ما تكون دلالة على التهكم، فجمعت إلى كل ذلك غرابة الإنكار بغرابتها اللفظية، وهما معنيان متناسبان، أولهما كالمقدمة لثانيهما، فقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم وهي من أغرب ما جاء فيه، ولكنها حسُنت في موضعها بأغرب الحسن وأعجبه، فإنك تجد لها من الحسن في القرآن أضعاف ما ترى لها من القبح والغرابة في غيره، فكانت غرابة اللفظ أشدّ الأشياء ملاءمة لغرابة تلك القسمة المنكرة، فصورت اللفظة من خلال السياق المتناسق دلالة الإنكار والتهكم اللاذع، التي تجسّم بحركاتها حركة المتهكّم، وهذا هو الشاهد الوحيد، الذي عبّر به مصطفى صادق الرافعي عن تجسيم الصوت للمعنى، فكان هذا التصوير أبلغ ما في البلاغة، وخاصة في اللفظة الغريبة التي تمكنت في موضعها، والأثر الحسي الذي تحدثه حال النطق بها، ووصفت حالة المتهكم في إنكاره من إمالة اليد، والرأس بتينك المدَّين فيها، فضلا عن توبيخ أهل الشرك[٣٣]، فقد صورت اللفظة باعتمادها الغرابة اللفظية، جور قسمة المشركين في غرابتها على العقل، والمنطق بنسبة ما لم يرضوه لأنفسهم إلى ربهم، فجمعت إضافة إلى غرابتها وغرابة النطق بها، وغرابة القسمة غرابة الاستعمال، فجاءت غاية في التلاؤم والتواؤم في مخارج اللفظ والنطق والمعنى المراد[٣٤].

وبهذا يتبين بُعدُ ما ذهبت إليه بنت الشاطئ بقولها" وقُصارى ما ألمحه فيها – على بُعْدٍ – أن يكون فيها مع الجور حس مادتها فيما يلوك عَبَدة الأوثان من ألفاظٍ منقولة من : ضاز التمرة لاكها في فمه والله أعلم"[٣٥].

وفي قوله تعالى:﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ الأنعام: ٧ – ٩، أكد أبو السعود أن لو جعل الله تعالى ذلك النذير ملكا لمثله الله بصورة رجل معللا ذلك باستحالة معاينة هيئة الملك أي في صورة رجل ليمكن التخاطب بينه وبين الناس، فضلا على إيثار النص القرآني (رجلا) على(بشرا) أن فيه إيذان بجعله بطريقة التمثيل وذلك لتعيين ما يقع به التمثيل لا بطريقة قلب الحقيقة[٣٦].

وفي قوله تعالى:﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾ الإسراء: ٥٩، عمد النص القرآني اختيار إرسال الآيات لتخويف من يُكذب بها وآثرها على الإيتاء، وفي ذلك ملمح أسلوبي ميز النظم القرآني باستعارة اللفظ المناسب ولذلك" عَبّر عن تلك المنافاةِ بالمنع على نهج الاستعارةِ إيذاناً بتعاضد مبادئ الإرسال لا كما زعموا من عدم إرادتِه تعالى لتأييده صلى الله عليه وسلم بالمعجزات وهو السرُّ في إيثارِ الإرسالِ على الإيتاء لما فيه من الإشعار بتداعي الآياتِ إلى النزول لولا أن تُمسْكَها يدُ التقدير وإسناد هذا المنعِ إلى تكذيب الأولين لا إلى عمله تعالى بما سيكونُ من الآخَرَيْن كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ الأنفال: ٢٣ لإقامة الحجةِ عليهم بإبراز الا نموذج وللإيذان بأن مدارَ عدم الإجابةِ إلى إيتاء مقترحِهم ليس إلا صنيعَهم ﴿ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ﴾ عطفٌ على ما يُفصح عنه النظمُ الكريم كأنه قيل وما منعنا أَن نُّرسِلَ بالآيات إلاَّ أنّ كذَّبَ بها الأولون حيث آتيناهم ما اقترحوا من الآيات الباهرةِ فكذبوها وآتينا باقتراحهم ثمودَ الناقةَ ﴿مُبْصِرَةً ﴾ على صيغةِ الفاعلِ أي بَيّنةً ذاتَ إبصارٍ أو بصائرَ يدركها الناسُ أو أُسند إليها حالُ من يشاهدها مجازاً أو جاعلتَهم ذوي بصائرَ من أبصره جعله بصيراً"[٣٧].

وتتضح جمالية اختيار المفردة القرآنية في النص القرآني:﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ الأعراف: ١٨٤، بالتعبير عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم بلفظ (صاحبهم) فيما جاءت بلفظ(أحمد) و(محمد) و(النبي) و(الرسول) و(عبد الله) في سياق آيات أخرى، فالمفردة المختارة هي الأنسب للسياق لشحنه بدلالات إيمانية خاصة ذات أبعاد أسلوبية استرجاعية؛ لأنها تحيل المتلقي إلى تأثير موجه خارجي يدعوه إليه الخطاب القرآني للتفكر في سيرة الصاحب وما تفضي إليه تلك المفردة من خصال اشتملتها شخصيته، فهو المعروف لديهم بأمانته وصدقه ونسبه، فلا تحوم حول شخصيته الكريمة شبهة أو شائبة، فأيقنوا أنه الصادق

الأمين الذي سبق الأقران وتفرد عنهم بخصال الخير والنفع العميم للجميع، فجاء الخطاب القرآني بصاحبهم "والتعبيرُ عنه صلى الله عليه وسلم بصاحبهم للإيذان بأن طولَ مصاحبتهم له صلى الله عليه وسلم مما يطلعهم على نزاهته صلى الله عليه وسلم عن شائبة ما ذكر ففيه تأكيدٌ للنكير وتشديدٌ له"[٣٨]، ومن هنا جاءت دلالة الخطاب القرآني بشحنة إيحائية كبيرة بـ(صاحبهم) على مشاكلة كلامهم مع ما فيه من الإنكار والتعجيب والتبكيت لإنكار عدم نقائهم عن شائبة الريب في شأنه صلى الله عليه وسلم وجهلهم بشخصيته المفعمة بالإيمان والمؤيدة بالوحي المنزل بالآيات فاستحقوا التوبيخ[٣٩].

واختيار وإيثار(أخذ) على (أخرج) في قوله تعالى﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ الأعراف: ١٧٢؛ لأن الأخذ يوحي بالعناية والانتقاء والاصطفاء في حين أن الإخراج لا يوحي بتلك المعاني ودلالة الفعل على إكرام الله سبحانه وتعالى لهذه الدرية، وعلى أهمية ذلك الميثاق فجاء الخطاب القرآني تعالى﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ﴾ وإسناد الأخذ إلى اسم الرب عز وجل بطريق الالتفات مضافا إلى ضمير المخاطب لعائد إلى نبيا محمد صلى الله عليه وسلم دلالة على مقام التشريف له صلى الله عليه وسلم، ويوحي بمناسبة اللفظة السياق القرآني لبيان عظم ما تضمنه ذلك الميثاق من توحيد الخالق عز وجل وعنايته جل شأنه بخلقه[٤٠].

نستنتج مما تقدم أن اختيار البنى الأسلوبية الجزئية في النص القرآني كان يراعى فيها المعنى المعجمي الدقيق، والصيغة الصرفية، وجرس المفردة، وعلاقة الألفاظ بعضها ببعض من حيث المعنى وشكل المعنى، وقد صرّفت الآيات القرآنية الألفاظ بالمزاوجة بين هذه المحاور، فجعل أهمها الاشتقاق حينا، والصيغة حينا آخر، والجرس حينا ثالثا، إذ تسهم هذه الخصائص مجتمعة أو باجتماع بعضها في توليد الدلالة السياقية التي تجعلنا نقول عنها: إنها ما جاءت بهذا الأسلوب إلا لغاية قصدية للتعبير عن دلالة مخصوصة، محققة في الوقت نفسه عنصر الاقتصاد الذي يسمح بأقصى قدر من الإفادة من الوسائل المحدودة المتاحة، فضلاً عن التأثير في المتلقي، ومن ثم يصبح انتقاء الكلمة سمة أسلوبية مميزة لهذا الكلام من سواه، حتى يصل حدّ الإعجاز.

المطلب الثاني: الدلالة الأسلوبية في اختيار التركيب

إن إظهار أسرار الخطاب القرآني في إيثار الجمل على بعضها كون الجملة هي أساس الخطاب والصورة اللفظية التي تطوي في أثنائها فكرة تامة صدرت عن منشيء إلى متلقي منتظر[٤١]، فهي ذات دلالة تواصلية إبلاغية نفعية وبلاغية مؤثرة، ولذلك فإن هناك علاقة طردية

طردية بين مقدرة المنشيء اللغوية على إنشاء الجملة والتفنن في صياغتها، وبين القدرة على إيصالها إلى ذهن المتلقي والتأثير فيه وامتلاك مشاعره، فالجملة في اللسانيات الحديثة لابد لها من الإفادة والاستقلال في تركيب إسنادي؛ لذلك عرفها (بلومفيلد) بأنها:" شكل لغوي مستقل غير مقحم بموجب تركيب نحوي ما في شكل لغوي أوسع منه"(٤٢)، وعرفها المخزومي بقوله:" والجملة في أقصر صورها هي أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقل بنفسه"(٤٣)، ولهذا التعريف في اللسانيات الحديثة جذور في التراث النحوي العربي، وهو ما أشار إليه ابن يعيش بقوله "الكلام عند النحويين عبارة عن كل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه ويسمى الجملة"(٤٤)، وقد جعلها بهذا التعريف مرادفة للكلام واشترط فيها الإفادة والاستقلال وبهذا قال ابن جني(٤٥)، غير أن ابن هشام ذهب إلى أن الجملة أعم من الكلام(٤٦)، أما في المدارس المعاصرة فإن الجملة تتكون من بنيتين بنية دلالية وبنية نحوية، فالبنية الدلالية هي الفكرة أو المعنى الذي تدلّ عليه الجملة، أما البنية النحوية فهي الصياغة في سياق معين.

ودراسة بنية الجملة يعد مرتكزاً أساسياً في التحليل الأسلوبي؛ لأن الجملة هي الوحدة اللغوية الرئيسة في عملية التواصل، فهي "ليست مجرد مجموعة من الكلمات، بل إن علاقة هذه الكلمات بنيويا هي التي تجسد الجملة"(٤٧)، والنص القرآني يتألف من وحدات لغوية صغرى متمثلة بالجمل التي تتألف من كلمات وروابط، ثم تتألف منها (بناه الكبرى) التي هي السور والأحزاب والأجزاء، فبنية الجملة القرآنية هي الاستعمال الأمثل للجملة العربية، وقد نبه المفسرون على ما فيها من الأسرار التركيبية والدلالية ما يبهر العقول (وينحسر) من دونها كلّ استعمال للغة، فهي جمل معجزة تنطوي على سمات ودلالات متنوعة منها "ما تجده من التلاؤم والاتساق الكاملين بين كلماتها وبين تلاحق حركاتها وسكناتها... ومنها أنك تجد الجملة القرآنية تدل بأقصر عبارة عن أوسع معنى تام متكامل لا يكاد الإنسان يستطيع التعبير عنه إلا بأسطر وجمل كثيرة دون أن تجد فيه اختصارا مخلا أو ضعفا في الدلالة"(٤٨).

وقفت في هذا البحث على دراسة أنساق الجملة القرآنية في النصّ القرآني المعجز واستكشاف أسرارها التعبيرية مرتكزا على التفكير الأسلوبي الذي يستمد أصالته من التراث التفسيري والبلاغي العربي، مع الاستضاءة بالمعطيات اللسانية الحديثة والتحليل الأسلوبي انطلاقا من التمييز بين نمطين أساسيين من الجمل هما: ١- الجملة الاسمية ٢- الجملة الفعلية وفي هذا التقسيم معياران هما:

١- النظر إلى ما تبدأ به الجملة، فالجملة الاسمية تبدأ باسم والفعلية هي التي تبدأ بفعل، وهو المشهور عند النحاة المتقدمين.

٢- اتخاذ نوع المسند معيارا لهذا التقسيم، فما كان مسندها اسما فهي جملة اسمية، وما كان مسندها فعلا فهي جملة فعلية، سواء أتقدم المسند أم تأخر، وهذا الرأي ما تبناه المحدثون فقال الدكتور مهدي المخزومي:"هي ما كان المسند فيها فعلا سواء أتقدم المسند إليه أم تأخر، تغيرت صورة الفعل فيها أم بقيت"(٤٩).

نبه قسم من البلاغيين العرب إلى الخصائص التعبيرية للجملة العربية، فالجملة الاسمية تدل على الاستقرار والثبوت والجملة الفعلية تدل على التجدد والحدوث، ويعنون بتلك الدلالة أن المنشيء إذا أراد حدوث المعنى أتى بجملة مسندها فعل، وإذا أراد ثبوت المعنى أتى بجملة مسندها اسم، سواء في ذلك تقدم الفعل أم تأخر(٥٠)، وأول من نبه إلى تلك الدلالة الأسلوبية عبد القاهر الجرجاني بقوله:" وبيانه أن موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدده شيئا بعد شيء، وأما الفعل فموضوعه على أنه يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئا بعد شيء"(٥١)، والسر وراء ذلك يكمن في أن"الاسم له دلالة على الحقيقة من دون زمانها...أما الفعل فله دلالة على الحقيقة وزمانها وكل ما كان زمانيا فهو متغير مشعر بالتجدد"(٥٢).

ومن خلال تتبع إشارات المفسرين يتبين سر تلك الظاهرة الأسلوبية الدلالية في آيات الذكر الحكيم، وتماسك بنية النص القرآني في سياق مشحون بدلالة تعبيرية، فنجده يستعمل كلا منهما في موضعه المناسب، فلو استبدل أحدهما مكان الآخر لاختل النظم وتغيرت الدلالة؛ لأن علاقة الحدث هي التي يتنوع على أساسها استعمال كل من الجملتين، فيرى المتتبع للنص القرآني تقابلا بين الجملتين الاسمية في مواضع، وتناوبا بينهما في مواضع أخرى، ويرى في بعض المواضع تحولا في السياق الواحد من إحداهما إلى الأخرى، وذلك كله يعد من المؤشرات الأسلوبية على العمق الدلالي للنص القرآني المعجز.

أولا: إيثار الجملة الاسمية على الفعلية

يؤتى بالصيغة الاسمية في التركيب القرآني لدلالتها على الاستقرار والثبوت، وذلك لأن الاسم يدل على الثبوت ومنه قوله تعالى:﴿ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ آل عمران: ١١٣، فذكر ابو السعود مبينا دلالة أسلوبية لإيراد النص القرآني للجملة الاسمية في الموضع المناسب لتأكيد الاستمرارية وتكريرُ الإسنادِ لتقوية الحكم وتأكيدِه، ثم أعقبها بالجملة الفعلية بصيغة المضارع (يتلون) للدلالة على التجدد، ويرى أن المعنى المقصود هو أنهم يقومون تارةً ويسجدون أخرى يبتغون الفضلَ والرحمةَ من الله تعالى بأنواع ما يكون في الصلاة من الخشوع والخضوع لله عزَّ وجل(٥٣) .

ومنه قوله تعالى:﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ البقرة: ٢١٤، فقد استعجل المؤمنون النصر فلما استنفدوا الصبر أعلمهم الله عز وجل أن نصره قريب من أوليائه، غير بعيد عن حزبه، وفيه تثبيت لقلوب المؤمنين على ما مضى، ويوطئ لها السبل على ما بقي(٥٤)، والذي بين فيه أبو السعود دلالة إيثار النص القرآني الجملة الاسمية على الفعلية بقوله:" وفي إيثار الجملة الاسميةِ على الفعلية المناسبة لما قبلها وتصديرها بحرف التنبيه والتأكيد من الدلالة على تحقيق مضمونها وتقريره مالا يخفى واختيارُ حكاية الوعد بالنصر لنا أنها في حكم إنشاء الوعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم"(٥٥).

ويعتمد تصوير المثل القرآني على الاستنكار أولا من تصورهم أن يدخلوا الجنة دون دفع الثمن في الصبر على الابتلاء والشدائد، أو دون أن يخضعوا لسنة الله الكونية الدائمة في الابتلاء لتمحيص المؤمنين، وتنقية صفوفهم، ومعرفة مدى صبرهم على هذه الدعوة، ثم يستحضر المثل القرآني المصوّر في أذهانهم، صورة المؤمنين السابقين لهم والذين تعرّضوا لشتى أنواع الابتلاء من قتل وتشريد وتعذيب حتى زلزلوا زلزالا شديدا حسياً ومعنوياً، ولكنهم صبروا على الابتلاء، فظلّوا متمسكين بالإيمان، لا يحيدون عنه.

ويجسّم التصوير القرآني شمول المعاناة للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه، زيادة في إيضاح شدة الابتلاء، ثم يستمر التصوير للمعاناة الشاملة، فيعمد النص القرآني فيجسّمها بدلالة الاستفهام (متى) والتي توحي باستبطاء النصر، ومعاناة النفوس من هذا الإبطاء، فضلا عن إن التصوير القرآني يرسم معاناة المؤمنين وأهوال الابتلاء النفسي والحسي معا بقوله تعالى: ﴿مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا ﴾... كما رسمه من قبل في صورة الاستفهام الموحي، ﴿وَزُلْزِلُوا ﴾ فالزلزلة بجرسها الشديد، توحي بالحالة المضطربة التي بلغها المؤمنون، فترسم زلزلة الأجسام، وما تعرضت له من قتل وتعذيب، وزلزلة النفوس المصاحبة لزلزلة الأجسام، وشعورها باليأس وإبطاء نصر الله، ثم يأتي التعقيب على التصوير بالفرج والبشرى للمؤمنين بقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾، وهو جواب على الاستفهام السابق، وقد جاء مؤكّدا بمؤكّدات عدّة مثل ألا وإنّ، والجملة الاسمية الموحية بالثبات والاستقرار، وهكذا يجسد التعقيب، بدلالة أسلوبية التناسق مع طريقة تصوير الأمثال القرآنية، إذ يترك المثل في نهاية التصوير، وتبرز القضايا الدينية التي يجب أن يتعلق بها المؤمن، وهو ما يعمد النص القرآني إليه لتثبيت المؤمنين، فالنصر هو من عند الله سبحانه، وإضافة النصر إلى الله في التعبير القرآني لها دلالتها النفسية وأهدافها التربوية والتوجيهية التي يحرص المثل القرآني على توضيحها وترسيخها في نفوس المؤمنين(٥٦).

وفي قوله تعالى:﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ آل عمران: ٩٦ – ٩٧ آثر النص القرآني دلالة أسلوبية في اختيار الجملة الاسمية لتصويرها صفة الثبوت والاستمرار لكمال الاعتناء بأمر الحج لذلك"أوثرت صيغة الخبر الدالة على التحقيق أو برزت في صورة الجملة الاسمية الدالة على الثبات والاستمرار على وجه يفيد أنه حق واجب لله سبحانه في ذمم الناس لا انفكاك لهم عن أدائه والخروج عن عهدته"[٥٧].

ففي قوله تعالى:﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ الأنعام: ٥٩، نلحظ غلبة الأسماء على التركيب القرآني للنص الكريم، فهي صفات ثابتة ودائمة للذات الإلهية لبيان قدرة الله تعالى واستدلالاً على عظمته "جيء بالجملة الاسمية للدلالة على ثبات هذا الوصف ودوامه؛ لأنه وصف ذاتي لله تعالى"[٥٨]، فبدأ النص الكريم بالجملة الاسمية في قوله ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ ۖ ﴾ الأنعام: ٩٥ "دلالة على الثبوت، لأن ﴿فَالِقُ ﴾ اسم فاعل يدل على ثبوت الوصف"[٥٩]، يؤتى به دالاً على زمن الاستمرار، فإن الله تعالى مستمرّ في شقّ الحب والنوى، "والمقصود الفلق الذي تنبثق منه وشائج النبت والشجر وأصولها، فهو محل العبرة من علم الله تعالى وقدرته وحكمته"[٦٠]، وجاء السياق القرآني بالجملة الاسمية ﴿ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ﴾ الأنعام: لأن من صفات الميْت السكون والهمود اللتين تدلان على الثبوت والاستقرار، فناسب ذلك دلالة التركيب الاسمي على الثبات، فيما أوردَ قوله تعالى: ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ﴾ بالصيغة الفعلية لدلالتها على التغير والتجدد لأن من صفات الحي الحركة والتجدد، فجاء النظم القرآني بالتركيب المناسب لكل حالة، فبلغ الكمال في حسن وقعه في النفوس تأثيراً وجمالاً[٦١].

ويُؤثر الاستعمال القرآني الجملة الاسمية لغرض العناية بتحقيق مضمونها من قبل الله تعالى في قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۖ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ القصص: ٧، فقد جيء بالجملة الاسمية الدالّة على الثبوت عناية بالبشارة التي وعد الله تعالى أمَّ موسى برده إليها" وذلك للاعتناء بالبشارة لأن الجملة الاسمية تفيد الثبوت والاستمرار"[٦٢]، وآثر التعبير القرآني التركيب الاسمي تحقيقاً لمضمون النص الكريم بإنجاء سيدنا موسى (عليه السلام) وردّه إلى أمّه، وجعله رسولاً لإنقاذ بني إسرائيل من تسلط فرعون وأتباعه تنفيذاً لوحي الله –سبحانه وتعالى– ووعده، "وإيثار الجملة

الاسمية وتصديرها بحرف التحقيق للاعتناء بتحقيق مضمونها أي إنّا فاعلون لردِّه وجعله من المرسلين لا محالة"(٦٣).

ومن التراكيب الاسمية ما يُؤتى بها في التعبير القرآني للاستدلال على كمال قدرة الله في خلقه، بما لا يمكن إثباته بوساطة السمع، فجاء بما هو محسوس مشاهد كنبات الأرض كما هو الحال في إنبات النبات، ففي قوله تعالى:﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴾ نوح: ١٧، ابتدأت الآية الكريمة بالصيغة الاسمية ﴿ وَٱللَّهُ ﴾، ثمّ جيء بخبرها فعلاً ﴿ أَنۢبَتَكُم ﴾ لتفيد التجدّد والحدوث؛ لأن الجملة الاسمية "إذا كان خبرها فعلاً فإنها تكون كالجملة الفعلية في إفادة التجدّد والحدوث في زمن مخصوص"(٦٤)، فإنّ الله تعالى أنشأ آدم (عليه السلام) وهو أفضل البشر من تراب الأرض، وحدوث ذلك متجدّد في خلق ذرّيته من عناصر الأرض نفسها، ثم إنّ في ورود التركيب الاسمي في الآية الكريمة – وهو ما عليه أغلب المفسرين(٦٥) – دلالة أسلوبية ونكتة بلاغية في استعارة الإنبات للإنشاء، لدلالته على الحدوث والخلق من الأرض، ومجيء المصدر على غير القياس في ﴿ أَنۢبَتَكُم ﴾، والعدول عنه إلى ﴿ نَبَاتٗا ﴾ ،"لأنّ الإنبات صفة الله سبحانه وتعالى وصفة الله تعالى غير محسوسة لنا فلا نعرف أنّ ذلك الإنبات إنبات عجيب كامل إلا بوساطة إخبار الله تعالى وهذا المقام مقام الاستدلال على كمال قدرة الله تعالى، فلا يمكن إثباته بالسمع، أما لمّا قال: (أنبتكم نباتا)على معنى أنبتكم فنبتم نباتاً عجيباً كاملاً، كان ذلك وصفاً للثبات بكونه عجيباً كاملاً، وكون النبات كذلك أمر مشاهد محسوس فيمكن الاستدلال به على كمال قدرة الله تعالى، فكان هذا موافقاً لهذا المقام، فظهر أنّ العدول من تلك الحقيقة إلى هذا المجاز كان لهذا السرّ اللطيف"(٦٦).

ثانيا: الجملة الفعلية

كلّ ما بدأ بفعل وأفاد التجدد والتغيير والاستمرار، ومنه مجيء الفعل المضارع في قوله ﴿ فَتُثِيرُ ﴾ الدال على التجدد والاستمرار في قوله تعالى:﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾ فاطر: ٩ [فاطر:٩]. فقد ورَد التركيب بالجملة الفعلية دلالة على التغير والحدوث والاستمرار بإثارة السحاب بواسطة الرياح وتجدّد هذه الظاهرة حيناً بعد حينٍ، مع أنّ السياق يتحدث عن الماضي(أرسل)، وأن هذه الظاهرة حاضرة في الذهن لحصولها على مدار الفصول في أماكن مختلفة، قال الزمخشري:"فإن قلتَ: لم جاء فتثير على المضارعة دون ما قبله وما بعده ؟ قلتُ: ليحكي الحال التي تقع فيها إثارة الرياح السحاب وتستحضر تلك الصور البديعة الدالة على القدرة الربانية"(٦٧)، ثمّ أورَد التعبير القرآني

الفعلين(فسقناه) و(فأحيينا) بصيغة الماضي الدالّة على التحقيق، منسوبة إلى الذات الإلهية بنون العظمة فـ"أفاد الاختصاص بأنه سبحانه المتصّرف الوحيد بهذا الكون، وكذلك فيه من التدبّر في إحياء الأرض بعد موتها والاستدلال على النشور والحياة بعد الموت"(٦٨)، وأكد هذا المعنى الآلوسي بقوله: "إيراد الفعلين بصيغة الماضي للدلالة على التحقيق وإسنادها إلى نون العظمة المنبئ عن الاختصاص به تعالى لما فيها من مزيد الصنع ولتكميل المماثلة بين إحياء الأرض وبين البعث"(٦٩).

وفي إيثار الجملة الفعلية دلالة أسلوبية أفادت معنى تجدد البيان للمخاطبين في النص القرآني في قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ المائدة: ١٩، وذلك وفقا للحكمة والمصلحة وهو الأنسب للسياق من إيثار الجملة الاسمية لأن "إيثارُ الجملة الفعلية على غيرها للدَلالة على تجدّد البيان أي قد جاءكم رسولُنا حال كونه مبيناً لكم على التدريج حسبما تقتضيه المصلحة"(٧٠).

ويأتي التعبير القرآني بالجملة الفعلية لتُحدث متغيراً أسلوبياً أفاد معنى المبالغة والتكثير، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ ﴾ القمر: ١٢ المقترن بنون العظمة لتأكيد حقيقة ثابتة بأن هذه الأفعال قد اختصّ الله تعالى بالقيام بها؛ لذلك جاءت على غير العادة فكأن الأرض قد صارت كلها عيون متفجرة بالماء "وجعلنا الأرضَ كلها كأنها عيون تتفجّر وهو أبلغ من قولك: وفجرنا عيون الأرض"(٧١).

وتحقّق الجملة الخبرية بصياغات متنوّعة أغراضاً بلاغية تهدف إلى إثارة المتلقي "لأنّ نفس الشحنة الإخبارية يمكن سبكها في صياغة لسانية متعدّدة"(٧٢)، وتؤدي الجملة الفعلية دلالة الاستمرارية وذلك في قوله تعالى:﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ خَلَٰٓئِفَ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴾ يونس: ٧٣، فدلّ تعاقب الأفعال وهو إخبار من الله تعالى بحال القوم الذين كذبوا نبيهم نوح على استمرار تكذيبهم في أول الأمر وفي آخره" فتمّوا على تكذيبه وكان تكذيبهم له في آخر المدّة المتطاولة كتكذيبهم في أوّلها"(٧٣)، فاستمرّ تكذيبهم حتى حان وقت القضاء عليهم بالإغراق "لأنّ تكذيب قومه قد استمرّ إلى وقت إغراقهم وإنجاء نوح ومَن اتبعه"(٧٤).

وتتنوّع الأفعال حسب السياق الواردة فيه؛ لتحدث أثراً أسلوبياً يؤدي إلى إثارة المتلقي وانفعاله "لأنّ نفس الخاصّية الأسلوبية يمكن أن تثير انفعالات متعدّدة ومتميّزة تبعاً للسياقات التي ترد فيها"(٧٥)، وذلك في قوله تعالى:﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ

فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ﴾ لقمان: ١٠، فجاءت الأفعال بصيغ متعدّدة(خلق، وألقى، وبثّ، وأنزل، وأنبت) للدلالة على كمال قدرة الله تعالى الموجبة لتوحيده، فبين أبو السعود أن تلك الأفعال مسوقة "للاستشهاد بما فضّل فيه على عزته تعالى التي هي كمال القدرة وحكمته التي هي كمال العلم، وتمهيد قاعدة التوحيد وتقريره، وإبطال أمر الشرك وتبكيت أهله"(٧٦)، وفي قوله تعالى: (وأنزلنا من السماء ماء) إشارة إلى أنّ الماء سبب للحياة، فمنه إنبات النبات بأنواعه وأشكاله، وآثر التعبير القرآني صيغة الفعلية في(أنزلنا) لإفادة تكرار نعمة إنزال الماء وتجدّدها في كل زمان ومكان، قال الرازي:" إن نعمة إنزال الماء نعمة ظاهرة في كل زمان متكثرة في كل مكان، فأسنده إلى نفسه صريحاً لينتبه الإنسان لشكر نعمته فيزيد له من رحمته"(٧٧).

ومن الآيات ما تنوّعت فيه التراكيب بين الجملة الفعلية والإسمية، ففي قوله تعالى:﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٖ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَاۚ وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٞ ﴾ فاطر: ٢٧، اجتمع في النص الكريم التركيب الفعلي والاسمي مؤدياً كل منها دلالته الأسلوبية، فجاء التعبير القرآني بالجملة الفعلية﴿فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٖ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَاۚ ﴾ في حديثه عن الثمرات وتغيّر أحوالها وألوانها؛ لأنها منظورة محسوسة للإنسان، يشهد مراحل نضجها وتبدّل أشكالها وانتقالها من حالٍ إلى حال، فادّى التركيب الفعلي دلالة التجدد المستمر"وجيء بالجملتين الفعليتين في (أنزل) و(فأخرجنا)؛ لأن إنزال الماء وإخراج الثمرات متجددٌ آناً فآناً"(٧٨)، أما الجملة الاسمية فقد جيء بها في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٞ ﴾ للدلالة على أنّ ألوان الجبال والناس والدواب – في الآية بعدها – إن حصل فيها تغيير فإنه لا يكون ملفتاً لنظر الإنسان فكأنه ثابت لا يتغير؛ وليُشعِر الإنسان بعظِم قدرة الله المبدعة في تناسق هذا الكون العجيب في جميع أحواله وأشكاله، كما أنّ لاختلاف هذه الصفات والألوان في الثمار دلالة على اختلاف أحوال الناس وطبائعهم وأمزجتهم وأنه أمر جِبِلِيَّ في المخلوقات، فعد أبو السعود هذه الآية"استئناف مسوق لتقرير ما قبله من اختلاف أحوال الناس، ببيان أنّ الاختلاف والتفاوت أمرٌ مطرّد، في جميع المخلوقات من النبات والجماد والحيوان"(٧٩).

الخاتمة

إن للألفاظ استعمال خاص في التعبير القرآني، فقد ترد لفظة بدلالة معينة، وترد أخرى في نفس الموقف بل في نفس القصة، ولكن بدلالة أخرى، وكلّ ذلك محكوم بالسياق، فالسياق من

أهم القرائن الدالّة على المعنى، لذلك تميّز أسلوب القرآن عمّا سواه من الكلام، فكان معجزاً بتناسق ألفاظه ونظمه.

وتلك هي تراكيب القرآن الكريم اسمية وفعلية، وذلك هو نظمه الجليل الذي عُرِف بروح ميّزته عن سائر الكلام المنظوم والمنثور، فكان وقعه في النفوس عجيباً، يصل أسماعَ القلوب قبل أسماع الرؤوس، فنجده وكأنه وحدة واحدة متكاملة لا تباين بين أجزائه فأعجز البلغاء والفصحاء بنظمه، فروح التركيب القرآني لم تُعرف قط في كلامٍ عربي غير القرآن، وبهذا انفرد نظمه وخرج ممّا يطيقه الناس، فهو كأنما وضع جملة واحدة ليس بين أجزائها تفاوت أو تباين، إذ تراه ينظر في التركيب إلى نظم الكلمة وتأليفها وتعالقها ببعضها، ثم إلى تأليف هذا النظم، فمن هنا تعلّق بعضه على بعضٍ، وخرج في معنى تلك الروح حقة واحدة هي حقة إعجازه في جملة التركيب.

الهوامش

[١] دراسات في فقه اللغة: ٢٩٨، صبحي إبراهيم الصالح (١٤٠٧هـ) دار العلم للملايين، الطبعة الطبعة الأولى، ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م.

[٢] ينظر: الأسلوب والأسلوبية:١٣٨-١٣٩، د.عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، طبعة تونس،١٩٨٢م، وأسرار التعبير القرآني دراسة بلاغية أسلوبية:١٥٩، علاء غالي حايف،(رسالة ماجستير) مقدمة إلى جامعة تكريت، كلية التربية للبنات،١٤٣٧هـ-٢٠١٦م.

[٣] ينظر: أسرار التعبير القرآني دراسة بلاغية أسلوبية:١٥٣.

[٤] ينظر: الأسلوب والأسلوبية، عبد السلام المسدي،٣٧-٣٨.

[٥] الأسلوب دراسة لغوية إحصائية:٣٧،٣٨، سعد مصلوح، عالم الكتب، الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م،.

[٦] ابن القيم وحسّه البلاغي في تفسير القرآن:١٢٦، ١٢٧، الدكتور عبد الفتاح لاشين، دار الرائد العربي، بيروت -لبنان، الطبعة الأولى،١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

[٧] التعبير الفني في القرآن الكريم:١٨٥، الدكتور بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.

[٨] المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر:٧/١، نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب (٦٣٧ هـ) المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر - بيروت، ١٤٢٠هـ-١٩٩٥م.

[٩] ينظر: النقد الأدبي أصوله ومناهجه:٨٢، دار الشروق، القاهرة، الطبعة السادسة، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م

[١٠] ينظر: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية:٢١٣، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

[١١] ينظر" دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني:٣٥، محمد ياس خضر الدوري، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان،ط١،١٤٣٧هـ– ٢٠٦٥م.

[١٢] مجموع الفتاوى:٢٤٢/١٣، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (٧٢٨هـ)،المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ–١٩٩٥م.

[١٣] المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر:١٥٠/١، وينظر: الإعجاز البياني ومسائل ابن الازرق:١٩٣. عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ (١٤١٩هـ) دار المعارف، الطبعة الثالثة.

[١٤] الإعجاز البياني بين النظرية والتطبيق:٢٢٢، حنفي محمد شرف المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – مصر، ١٣٩٠هـ – ١٩٧٠م.

[١٥] جماليات المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير:٧٤. أحمد ياسوف، دار المكتبى دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩م.

[١٦] درة التنزيل وغرة التأويل:١٤، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي (٤٢٠هـ) دراسة وتحقيق وتعليق: د. محمد مصطفى آيدين جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالي سلسلة الرسائل العلمية الموصى بها معهد البحوث العلمية مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ– ٢٠٠١ م، وينظر: أسرار التكرار:٣٠، لتاج القراء محمود بن حمزة بن نصر الكرماني، دراسة وتحقيق: عبد القادر احمد عطا، دار بو سلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م، ومعترك الأقران:٣/ ٨ عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ) دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

[١٧] معترك الأقران في إعجاز القرآن:٨/٣.

[١٨] ينظر: التعبير القرآني:٣٢٢، ٣٢٣، د. فاضل صالح السامرائي، دار عمّار، عمان– الأردن، الطبعة الخامسة، ١٤٢٨هـ–٢٠٠٧م، وبلاغة الكلمة في التعبير القرآني:١١٢، ١١٣، ١١٤، د. فاضل صالح السامرائي، دار عمار للنشر، عمّان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ–١٩٩٩م.

[١٩] تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم):٣٨٧/١، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (٩٨٢هـ) دار إحياء الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ–١٩٩٩م.

[٢٠] الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ١/ ٤٩٩، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (٥٣٨هـ) دار الكتاب العربي– بيروت الطبعة الثالثة،١٤٠٧هـ، وينظر تفسير أبي السّعود: ٢/ ٩٤، وجماليات المفردة القرآنية:٢٨٦.

[٢١] البرهان في علوم القرآن:٧٨/٤، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (٧٩٤هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، الطبعة الأولى، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧م.

[٢٢] تفسير أبي السعود:٣٥٢/٢.

[٢٣] نفسه:٤١/٢.

[٢٤] نفسه:١٩٥/٢.

[٢٥] البرهان في علوم القرآن:٤٧٦/٢.

[٢٦] ينظر: الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري:٢٠٩، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (نحو ٣٩٥هـ) حققه وعلق عليه: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة الطبعة الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.

[٢٧] ينظر، نفسه:٩٣،١٨٨/٢.

[٢٨] تفسير أبي السعود:٩٣/٢.

[٢٩] ينظر، الكشاف،١٠٦١، والتفسير الكبير،٢٥٧،٢٥٦/٢٨. أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (٦٠٦هـ) دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة – ١٤٢٠هـ-١٩٩٥م.

[٣٠] ينظر، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،١٦٢/١، والبلاغة العربية المفهوم والتطبيق، ٤٧٩/٢.،أ. د حميد ادم ثويني، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمّان-الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٧م.

[٣١] ينظر، نفسه،١٦١،١٦٢/١.

[٣٢] ينظر، في ظلال القرآن،٦/ ٣٤٠٨، سيد قطب، دار إحياء التراث العربي، الطبعة السابعة، ١٣٩١هـ-١٩٧١م. والتحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، ١٠٦/٢٧، ١٠٧. محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤م.

[٣٣] ينظر، تاريخ آداب العرب،١٥٢/٢ مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي(١٣٥٦هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٣٩٣هـ- ١٩٧٢م، وإعجاز القرآن والبلاغة النبوية،١٥٨-١٥٩، مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي(١٣٥٦هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٥م، والتصوير الفني في القرآن،١٠٤، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (١٣٨٥هـ)، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الشرعية ١٤٢٤،١٧هـ-٢٠٠٣م، ومن بلاغة القرآن،٢٥٦، أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي (١٣٨٤هـ)، نهضة مصر، القاهرة، د.ط، ٢٠٠٥م. وجماليات المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير،٢٩٢، وفنون البلاغة بين القرآن وكلام العرب،٣٤،٣٥، الدكتور فتحي عبد القادر فريد، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م. وإعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره،١٣٢، الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار عمار، عمّان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

[٣٤] ينظر، خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني،٦٥، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة السابعة، ١٤٠٧هـ-١٩٨٠م.

[٣٥] الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق:٥٤٠.

[٣٦] ينظر: تفسير أبي السعود:١٥٨/٢، والتحرير والتنوير:٢١٣/١٥.

[٣٧] تفسير أبي السعود:١٤٠/٤-١٤١.

[٣٨] نفسه:٥٩/٣.

[٣٩] ينظر: نفسه:٩٤/٣-٩٥.

[٤٠] ينظر، نفسه:٢٩٨/٣.

[٤١] ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه:٢٢٥.

[٤٢] بواسطة الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية:٣٩، عبد الله صوله، دار الفارابي، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى،١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

[٤٣] في النحو العربي نقد وتوجيه:٣٣.

[٤٤] شرح المفصل للزمخشري:٧٢/١، يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (٦٤٣هـ) قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

[٤٥] ينظر: الخصائص:١٨/١، أبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب– بيروت.

[٤٦] ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب:٤٩٠، المؤلف: عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ)، المحقق: د. مازن المبارك، محمد علي حمد الله، دار الفكر – دمشق الطبعة السادسة، ١٩٨٥م.

[٤٧] بلاغة الخطاب وعلم النص:٢٣٦، صلاح فضل، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة– مصر،١٩٩٦.

[٤٨] الإعجاز في نظم القرآن:٨٦، د. محمود السيد شيخون، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

[٤٩] في النحو العربي نقد وتوجيه:٤٧. تأليف: الدكتور مهدي المخزومي، منشورات دار الرائد العربي، بيروت، الطبعة الثانية،١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

[٥٠] ينظر: معاني الأبنية في العربية:٩، معاني الأبنية في العربية، فاضل صالح السامرائي دار عمار، ١٤٢٨ هـ- ٢٠٠٧م.

[٥١] دلائل الإعجاز في علم المعاني: ١٧٤، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، الجرجاني الدار (٤٧١هـ) المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م وينظر: البرهان في علوم القرآن:٦٦/٤-٧١.

[٥٢] نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز:٧٩، فخر الدين محمد بن عمر الرازي(٦٠٦هـ)، دار صادر بيروت –لبنان الطبعة الأولى/ ١٤٢٤هـ -٢٠٠٤م .

[٥٣] ينظر: تفسير أبي السعود:٢٠/٢.

[٥٤] ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل:٣٣٦/١، والنبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم:٢٦٥.
محمد بن عبد الله دراز (١٣٧٧هـ) اعتنى به: أحمد مصطفى فضلية، قدم له: أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، دار القلم للنشر والتوزيع، الطبعة طبعة مزيدة ومحققة ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م

[٥٥] تفسير أبي السعود:٥٩/١.

[٥٦] ينظر: وظيفة الصورة الفنية في القرآن:١٦٣،١٦٤. عبد السلام أحمد الراغب، فصلت للدراسات والترجمة والنشر – حلب، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

[٥٧] تفسير أبي السعود:٨/٢.

[٥٨] التحرير والتنوير:٣٨٧/٧.

[٥٩] معاني الأبنية في العربية:٤٧.

[٦٠] التحرير والتنوير:٣٨٨/٧.

[٦١] ينظر: التعبير القرآني:٢٣.

[٦٢] صفوة التفاسير:٤٢٨/٢، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.

[٦٣] تفسير أبي السعود:٣/٧.

[٦٤] جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع:٧٣، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (١٣٦٢هـ) ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت.

[٦٥] ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٣٧٥/٥، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت– لبنان الطبعة الأولى– ١٤١٣هـ –١٩٩٣م، والتفسير الكبير: ١٢٥/٣٠، والجامع لأحكام القرآن: ٣٠٥/١٨، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (٦٧١ هـ) المحقق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٣م، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل:٣٤٩/٥، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (٦٨٥هـ) المحقق:
محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، تفسير أبي السعود: ٣٩/٩، وروح المعاني: ٧٥/٢٩.

[٦٦] التفسير الكبير:١٢٥/٣٠

[٦٧] الكشاف:٦٠١/٣.

[٦٨] المثل السائر:١٨٦/١، وينظر: خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني:١٩٨.

[٦٩] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني:١٧٢/٢٢، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (١٢٧٠هـ) المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.

[٧٠] تفسير أبي السعود:٢٥٠/٣.

[٧١] الكشاف:١٠٦٦، وينظر: روح المعاني:٨٢/٢٧.

[٧٢] الأسلوبية والأسلوب:٥٩.

[٧٣] الكشاف:٤٧٠.

[٧٤] التحرير والتنوير:٢٤٣/١١.

[٧٥] الأسلوبية والأسلوب:٥٩.

[٧٦] تفسير أبي السعود ٧٠/٧.

[٧٧] التفسير الكبير:١٢٦/٢٥.

[٧٨] التحرير والتنوير: ٣٠١/٢٢.

[٧٩] تفسير أبي السعود: ٧ /١٥٠.